

حديث : ذهب أهل الدثور بالأجور

11-05-2008 11:38:18 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **أبي ذر الغفاري** رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : (**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل**

تهليل صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة) ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ ، قال : (**أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر) رواه **مسلم** .**

الشرح

يوم أن خلق الله تعالى هذه الدنيا ، بثَّ فيها ما يكفل للإنسان عيشاً رغيداً وحياة هائلة سعيدة ، إلا أن هذه الحياة على اتساعها وجمال ما فيها مآلها إلى الفناء ، كالزهرة اليانية في البستان سرعان ما تذبل وتسقط أوراقها ، وإنما هيأها الله لبني آدم كي تكون مزرعة للأخرة ، ومجالاً واسعاً للتنافس على طاعة الله ، والتسابق في ميادين الخير .

ولقد كان هذا هو هم الصحابة الأول ، وتطلعهم الأسمى ، فشَمَرُوا عن سواعد الجد ، وانطلقوا مسارعين إلى ربهم ، بقلوب قد طال شوقها إلى الجنة ، ونفوس قد تآقت إلى نعيمها الدائم ، فكان الواحد منهم إذا سمع عن عمل يقربه إلى الله ويدنيه من رحمته كان أول الممتهلين له ، عملاً بقوله تعالى : { **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين** } (آل عمران : 133) .

ولئن كانت ميادين الصلاة والصيام ونحوها مقدورة من أغلب الناس ، إلا أن الصدقة بالمال مقصورة على أغنياء المسلمين القادرين على بذله والجود به ، ومن هنا دخل الحزن قلوب فقراء الصحابة ، إذ فاتهم هذا المضمار من مضامير الخير ، وكلما سمعوا آية أو حديثاً يحث الناس على البذل والصدقة ، ويبين فضلها وما أعد الله لأهلها ، حَزَّ ذلك في نفوسهم ، فذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكين له ، ولنغش معاً لحظات ممتعة مع هذا الموقف العظيم الذي يرويه لنا **أبو ذر** رضي الله عنه .

لقد قال الصحابة : " يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور " ، ولم يكن قولهم هذا انطلاقاً من الحسد لإخوانهم ، أو طمعاً في الثراء ، ولكنه خرج مخرج الغبطة وتمني حصول الخير ، ليحوزوا المرتبة التي امتاز بها الأغنياء ، ونظير هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق**) متفق عليه .

وهنا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ما يدور في نفوس أصحابه من اللهفة إلى الخير ، فعالج

ذلك الموقف بكل حكمة ، وبين لهم سعة مفهوم الصدقة ، فإنها ليست مقصورة على المال فحسب ، بل تشمل كل أنواع الخير ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم **(إن بكل تسبيحة صدقة)** . إن ذكر الله تعالى من التكبير والتسبيح والتلهيل والتحميد ، هو من الباقيات الصالحات التي ذكرها الله تعالى في قوله : **{ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا }** (الكهف : 46) ، وقد وردت نصوص كثيرة تدل على فضل الذكر ، ففي مسند أحمد وعند الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم ؟ ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : ذكر الله عز وجل)** وقال أبو الدرداء راوي الحديث : " لأن أقول الله أكبر مائة مرة ، أحب إلي من أن أتصدق بمائة دينار " ، وفي حديث آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(سبق المفردون . قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)** رواه مسلم . فذكر الله من أعظم صدقات العبد على نفسه .

وفي الجانب الآخر : فإن دعوة الناس إلى التزام الأوامر وترك النواهي إنما هو صدقة متعديّة إلى أفراد المجتمع ، ودليل على خيرية هذه الأمة ، كما قال الله عز وجل في كتابه : **{ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله }** (آل عمران : 110) ، وهذا النوع من الصدقة واجب على كل أفراد الأمة كل بحسبه ، علاوة على أنه ضمان لسلامتها وتصحيح مسارها .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن أبواب الخير غير مقصورة على ما ورد في الحديث ، بل وردت أعمال أخرى أخذت وصف الصدقة : منها التبسم في وجه الأخ ، وعزل الشوكة أو الحجر عن طريق الناس ، وإسماع الأصم والأبكم حتى يفهم ، وإرشاد الأعمى الطريق ، والسعي في حاجة الملهوف ، ونفقة الرجل على أهله ، بل كل ما هو داخل في لفظة " المعروف " يعتبر صدقة من الصدقات إما على النفس أو على المجتمع .

ثم تتضح سعة فضل الله تعالى على عباده ، حينما رتب الأجر والثواب على ما يمارسه الإنسان في يومه وليلته مما هو مقتضى فطرته وطبيعته ، وذلك إذا أخلص فيه النية لربه ، واحتسب الأجر والثواب ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن المرء إذا أتى أهله ، ونوى بذلك إعفاف نفسه وأهله عن الحرام ، والوفاء بحق زوجته ، وطلب الذرية الصالحة التي تكون ذخرا له بعد موته ، فإنه يؤجر على هذه النية .

وهكذا يتسع مفهوم الصدقة ليشمل العادات التي يخلص أصحابها في نياتهم ، فهي دعوة إلى احتساب الأجر عند كل عمل ، واستحضار النية الصالحة عند ممارسة الحياة اليومية ، نسأل الله أن يعيننا على طاعته .